Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



لا يعقل أن يلم هذا البحث في إطاره القضايا النقدية القديمة، ولكنه يستساغ، أن يقدم معالم تُعين على ابراز الأثر بين القديم والحديث، ومن القضايا التي شغلت المحدثين في النقد العربي، قضية الشكل والمضمون، أو اللفظ والمعنى، أو الإطار والمحتوى، واتكأوا في بعض دعاواهم على نصوص منزوعة من إطارها العام، محللين لها، على أنها شواهد، وبنظرة يسيرة إلى تلك النصوص التي اعتمدوا في رأيهم عليها نلاحظ أنّ ما انتهوا إليه غير ما قصد إليه صاحبه في المرة الأولى، ومن ذلك، ما اتهموا به أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢٥٥ هـ)، واعتمد الدارسون في هذه التهمة على كلام لعبد القاهر الجرجاني (- ٤٧٣ هـ أو ٤٧٤ هـ)، في الجاحظ، وهو يتحدث عن ذمّ الاستكثار من التجنيس، إذ يقول فانظر إلى خطب الجاحظ في أوائل كتبه، هذا، وللخطب من شأنها أن يعتمد فيها الأوزان والأسجاع: فإنها تروى وتتناقل تناقل الأشعار، ومحلها محل النسيب والتشبيب من الشعر الذي هو كأنه لا يراد منه إلّا الاحتفال في الصنعة؛ والدلالة على مقدار شوط القريحة، والاخبار عن فضل القوة، والاقتدار على التفنن في الصفة. قال في أول كتاب الحيوان:

«جنبك الله الشهبة، وعصمك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة سبباً، وبين الصدق نسباً، وحبّب إليك التثبّت، وزيّن في عينيك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عزّ الحقّ، وأودع صدرك بردّ اليقين، وطرد عنك ذلّ اليأس، وعرّفك ما في الباطل من الذلّة، وما في الجهل من القلّة»[٧].

يعلق عبد القاهر على ما تقدم قائلاً: فقد ترك أولاً أن يوفّق بين «الشبهة» و «الحيرة» في الإعراب، ولم ير أنّ يقرن «الخلاف» إلى ء «الإنصاف» ويشفع «الحق» «بالصدق» ولم يعن بأن يطلب «لليأس» قرينة تصل جناحه، وشيئاً يكون رديفاً له؛ لأنه رأى التوفيق بين المعاني أخفّ، والموازنة فيها أحسن،

---

٧ - الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ (- ٢٥٥ هـ) ج ١: ص ٣، تحقيق / عبدالسلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢.